

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّصِيحَةُ الْأُولَى

طَالِبُ الْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، نَبِينَا

مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَهْمِيَّةُ الْإِخْلَاصِ.

اعْلَمْ أَخِي طَالِبَ الْعِلْمِ، وَفَقِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ هَذِهِ النَّصِيحَةَ
وغيرها، لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا طَالِبٌ وَلَا عَالِمٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا أَنْصَحُكَ
وَنَفْسِي بِهِ، أَنْ نُخْلِصَ لِلَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَأَخْصُ مِنْهَا طَلَبَ
الْعِلْمِ وَتَعْلِيمَهُ؛ لِعَظِيمِ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ وَقَدْرِهِ إِذَا أَخْلَصَ
الْعَبْدُ فِيهِ، وَعَظِيمِ خَطَرِهِ وَضَرَرِهِ إِذَا لَمْ يُخْلِصِ الْعَبْدُ فِيهِ لِرَبِّهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ

حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أَي:

أَجْرَهَا وَثَوَابَهَا، فَأَمَنْ بِهَا وَصَدَّقَ، وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا، ﴿نَزِدْ لَهُ فِي

حَرْوِهِ ﴿بِأَنْ نُضَاعِفَ عَمَلَهُ وَجَزَاءَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإِسْرَاءِ]، وَمَعَ ذَلِكَ، فَنَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَهُ، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ بِأَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِيَ مَقْصُودُهُ وَغَايَةَ مَطْلُوبِهِ، فَلَمْ يُقَدِّمَ لِآخِرَتِهِ، وَلَا رَجَا ثَوَابَهَا، وَلَمْ يَخْشَ عِقَابَهَا، ﴿تَوْتِيَهُ وَمِنَّا﴾ نَصِيْبَهُ الَّذِي قُسِمَ لَهُ، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾ قَدْ حُرِمَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا، وَاسْتَحَقَّ النَّارَ وَجَحِيْمَهَا، وَهَذِهِ الْآيَةُ شَبِيْهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ [هُود] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ (١).

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ [الرُّمِّ]. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ النِّيَّةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ (٢).

وَأَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ ﷺ بِهِ فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ [الرُّمِّ]، وَقَالَ فِي عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴿٥﴾ [الْبَيِّنَةِ].

(1) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَانِ» (ص: 757).

(2) «أَحْكَامُ الْقُرْآنِ» (4/ 76).

وَقَدْ صَدَّرَ الْبُخَارِيُّ **رَحِمَهُ اللهُ** كِتَابَهُ الصَّحِيحَ بِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ **رَحِمَهُ اللهُ**: صَدَّرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ كِتَابَهُ بِحَدِيثِ النِّيَّةِ، وَافْتَحَ كَلَامَهُ بِهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ شُيُوخَانَا **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** يَسْتَحِبُّونَ تَقْدِيمَهُ أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ يُنْشَأُ وَيَبْتَدَأُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَدُخُولِهِ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا⁽²⁾.

قَالَ النَّوَوِيُّ **رَحِمَهُ اللهُ**: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ، وَصِحَّتِهِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ وَآخَرُونَ: هُوَ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ رُبْعُ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ: يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا، أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ؛ تَنْبِيْهَا لِلطَّلَابِ عَلَى تَصْحِيحِ النِّيَّةِ⁽³⁾.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ «بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ؟»، وَمُسْلِمٌ «بَابُ قَوْلِهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» (1907).

(2) «شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (107/1).

(3) «الْمِنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ» (53 / 13).

فَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ هُوَ رُوحُ الْعَمَلِ، وَأَسَاسُهُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ»⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِلْمُ عِبَادَةٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَقُرْبَةٌ مِنَ الْقُرْبِ، فَإِنْ حَلَصَتْ فِيهِ النِّيَّةُ قَبْلَ وَزَكَا، وَنَمَتَ بَرَكَتُهُ، وَإِنْ قُصِدَ بِهِ غَيْرُ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى حَبِطَ وَضَاعَ، وَخَسِرَتْ صَفَقَتُهُ، وَرَبَّمَا تَفُوتُهُ تِلْكَ الْمَقَاصِدُ وَلَا يَنَالُهَا؛ فَيَخِيبَ قَصْدُهُ وَيَضِيعَ سَعْيُهُ⁽²⁾.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي: رِيحَهَا⁽³⁾.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ بَرَجَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ أَحَقَّ مَا اعْتَنَى طَالِبُ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ «بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ، وَفِي نُسخَةٍ: بَابُ تَحْرِيمِ الرِّيَاءِ» (2985).

(2) «تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمَتَكَلِّمِ» (ص: 169)

(3) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ «بَابُ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ» (3664)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

العِلْمُ بِهِ مُعَالَجَةُ النِّيَّةِ، وَتَعَهُدُهَا بِالْإِصْلَاحِ، وَحِمَايَتُهَا مِنَ الْفَسَادِ؛
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا اِكْتَسَبَ الْفُضْلَ لِكَوْنِهِ خَالِصًا لِرُؤْيُهِ اللَّهِ تَعَالَى.
 أَمَّا إِذَا كَانَ لِغَيْرِهِ فَلَا فَضِيلَةَ فِيهِ، بَلْ هُوَ فِتْنَةٌ وَوَبَالٌ وَسُوءٌ عَاقِبَةٌ،
 وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ قَبُولَ الْأَعْمَالِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى إِخْلَاصِهَا وَصَلَاحِهَا،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ الْآيَةُ
 [الْبَيِّنَةُ].

فَإِذَا قَصَدَ الطَّالِبُ بِالْعِلْمِ عَرَضَ الدُّنْيَا؛ فَقَدْ عَصَى رَبَّهُ، وَأَتَعَبَ
 نَفْسَهُ، وَبَاءَ بِإِثْمِهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ⁽¹⁾.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ
 طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ
 وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»⁽²⁾.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رحمته الله: وَقَدْ يَكُونُ الْعِلْمُ هَالِكًا
 عَلَى صَاحِبِهِ، إِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ قَالَ: وَالْمَعْنَى

(1) «عَوَائِقُ الطَّلَبِ» (ص: 10).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ «بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ الدُّنْيَا» (2654)، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ

فِيهِ: أَنَّ النِّيَّةَ هِيَ رُكْنُ الْعَمَلِ، أَوْ شَرْطُهُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ إِلَّا بِهَا، فَإِذَا عُدِمَتْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، فَإِذَا أُفْسِدَتْ فَسَدَ الْهَوَى (لَعَلَّهُ أَرَادَ: فَسَدَ الْمَقْصُودُ عِلْمًا كَانَ أَوْ عَمَلًا)، وَيَكُونُ فَسَادُهُ عَلَى قَدْرِ مُفْسِدِهِ، فَإِنْ أَرَادَ مُجَارَاةَ الْعُلَمَاءِ دَخَلَ فِي بَابِ الْحَسَدِ لِلظُّهُورِ وَالْمُبَاهَاةِ عَلَى الْأَقْرَانِ؛ فَقَلَبَ مَا لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَادَ مُمَارَاةَ السُّفَهَاءِ فَهُوَ مِثْلُهُمْ، وَإِنْ أَرَادَ صَرْفَ وُجُوهِ النَّاسِ لِيَكْتَسِبَ الْحُطَامَ؛ فَقَدْ بَاعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَهُوَ عَاصٍ فَاسِقٌ، تَحْتَ رَجَاءِ الْخَاتِمَةِ فِي الْمَوْتِ عَلَى الشَّهَادَةِ؛ فَيَكُونُ فِي الْمَشِيئَةِ، أَوْ فِي تَزَعُّعِ الْعَقِيدَةِ يُضْعِفُهَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَقُوَّةَ الْفِتْنَةِ أَوْ ذَهَابِهَا؛ فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ⁽¹⁾.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُنْصَبَ نَفْسَهُ - يَعْنِي لِلْفَتْوَى - حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ:

أَمَّا أَوْلَاهَا: فَأَنْ يَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ نِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نُورٌ، وَلَا عَلَى كَلَامِهِ نُورٌ⁽²⁾.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَمَّا النِّيَّةُ فَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ وَأَسَاسُهُ وَأَصْلُهُ الَّذِي عَلَيْهِ يُبْنَى؛ فَإِنَّهَا رُوحُ الْعَمَلِ وَقَائِدُهُ وَسَائِقُهُ،

(1) «عَارِضَةُ الْأَخُوذِيِّ بِشَرْحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (10 / 121).

(2) «إِنْطَالُ الْحَيْلِ» (ص: 24) لِابْنِ بَطَّةِ الْعُكْبَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهَا يُبْنَى عَلَيْهَا، يَصِحُّ بِصِحَّتِهَا وَيَفْسُدُ بِفَسَادِهَا، وَبِهَا يُسْتَجَلَبُ التَّوْفِيقُ، وَبِعَدَمِهَا يَحْصُلُ الْخِذْلَانُ، وَبِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ الدَّرَجَاتُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَمْ بَيْنَ مُرِيدٍ بِالْفَتْوَى وَجَهَ اللَّهُ وَرِضَاهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَهُ، وَمُرِيدٍ بِهَا وَجَهَ الْمَخْلُوقِ وَرَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ وَمَا يَنَالُهُ مِنْهُ تَخْوِيفًا أَوْ طَمَعًا، فَيُفْتِي الرَّجُلَانِ بِالْفَتْوَى الْوَاحِدَةِ وَبَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، هَذَا يُفْتِي لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ، وَرَسُولُهُ هُوَ الْمُطَاعُ، وَهَذَا يُفْتِي لِيَكُونَ قَوْلُهُ هُوَ الْمَسْمُوعُ، وَهُوَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ، وَجَاهُهُ هُوَ الْقَائِمُ، سَوَاءً وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، أَوْ خَالَفَهُمَا، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ، وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبَسَ الْمُخْلِصَ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبَسُ الْمُرَائِي الْإِلَابِسَ ثَوْبِي الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبَغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخِرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: نَظَرْتُ فِي الْأَدِلَّةِ عَلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

(1) «إِعْلَامُ الْمُوقَّعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (6/106).

وَتَعَالَى، فَوَجَدْتُهَا أَكْثَرَ مِنَ الرَّمْلِ، وَرَأَيْتُ مِنْ أَعْجَبِهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُخْفِي مَا لَا يَرِضَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَيُظْهِرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَيُنْطِقُ الْأَلْسِنَةَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُشَاهِدْهُ النَّاسُ، وَرُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي آفَةٍ يَفْضَحُهُ بِهَا بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَكُونُ جَوَابًا لِكُلِّ مَا أَخْفَى مِنَ الذُّنُوبِ، وَذَلِكَ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ يُجَازِي عَلَى الزَّلَلِ، وَلَا يَنْفَعُ مِنْ قَدَرِهِ وَقُدْرَتِهِ حِجَابٌ وَلَا اسْتِتَارٌ، وَلَا يُضَاعُ لَدَيْهِ عَمَلٌ، وَكَذَلِكَ يُخْفِي الْإِنْسَانَ الطَّاعَةَ، فَتَظْهَرَ عَلَيْهِ، وَيَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَا وَبِأَكْثَرِ مِنْهَا، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لَهُ ذَنْبًا، وَلَا يَذْكُرُونَهُ إِلَّا بِالْمَحَاسِنِ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ هُنَالِكَ رَبًّا لَا يُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ.

وَإِنَّ قُلُوبَ النَّاسِ لَتَعْرِفُ حَالَ الشَّخْصِ، وَتُحِبُّهُ أَوْ تَأْبَاهُ، وَتَذُمَّهُ أَوْ تَمْدَحُهُ وَفَقَّ مَا يَتَحَقَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَكْفِيهِ كُلَّ هَمٍّ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ شَرٍّ، وَمَا أَصْلَحَ عَبْدٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ دُونَ الْحَقِّ؛ إِلَّا أَنْعَكَسَ مَقْصُودُهُ، وَعَادَ حَامِدُهُ ذَامًّا⁽¹⁾.

السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالْإِخْلَاصُ.

وَانظُرْ وَتَأَمَّلْ - رَعَاكَ اللَّهُ - فِي أَحْوَالِ أَسْلَافِكَ السَّابِقِينَ، تَعْرِفُ

(1) «صَيْدُ الْخَاطِرِ» (ص: 67، 68).

سِرَّ الْفَارِقِ بَيْنَ الْمَاضِي وَازْدِهَارِهِ وَالْحَاضِرِ وَتَأَخُّرِهِ، وَلِمَاذَا كَانَ كَلَامُهُمْ كَثِيرَ الْبَرَكَاتِ مَعَ قَلْتِهِ، وَكَلَامُنَا قَلِيلَ الْبَرَكَاتِ مَعَ كَثْرَتِهِ؟! وَإِنَّمَا تَفَاوَتَ النَّاسِ بِحَقَائِقِ الْأَعْمَالِ لَا بِصُورِهَا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُبَارَكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِحَمْدُونَ بْنِ أَحْمَدَ: مَا بَالَ كَلَامِ السَّلَفِ أَنْفَعُ مِنْ كَلَامِنَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا لِعِزِّ الْإِسْلَامِ، وَنَجَاةِ النَّفُوسِ، وَرِضَا الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ لِعِزِّ النَّفُوسِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا، وَرِضَا الْخَلْقِ ⁽¹⁾.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ الْحَسَنَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، أَوْ الْعَمَلَ لَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ فَيَقَعُ لَهُ الْمَقْتُ وَالْعَيْبُ عِنْدَ النَّاسِ حَتَّى يَكُونَ عَيْبًا، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ أَوْ الْأَمْرَ يَكْرَهُهُ النَّاسُ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ فَيَقَعُ لَهُ الْمِقَّةُ (يَعْنِي: الْحُبَّ)، وَالْحُسْنَ عِنْدَ النَّاسِ ⁽²⁾.

وَعَنْ زُبَيْدِ الْيَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ عِلَانِيَّتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ، وَمَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ مِثْلَ عِلَانِيَّتِهِ فَذَلِكَ النُّصْفُ، وَمَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ دُونَ عِلَانِيَّتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ ⁽³⁾.

(1) «صِفَةُ الصَّفْوَةِ» (ص: 762).

(2) «الْإِحْلَاصُ وَالنِّيَّةُ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص: 40).

(3) «الْإِحْلَاصُ وَالنِّيَّةُ» (ص: 53).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي ⁽¹⁾.

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَلَّامَةِ الْحَافِظِ
شَيْخِ الْحَرَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَسَعِيدَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنَ جُرَيْجٍ: لِمَنْ طَلَبْتُمُ الْعِلْمَ؟ كَلَّمْتُهُمْ يَقُولُ: لِنَفْسِي،
غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: طَلَبْتُهُ لِلنَّاسِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَلِّقًا: مَا أَحْسَنَ الصَّدَقَ، وَالْيَوْمَ تَسْأَلُ الْفَقِيهَ الْغَيْبِيَّ:
لِمَنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ؟ فَيَبَادِرُ، وَيَقُولُ: طَلَبْتُهُ لِلَّهِ، وَيَكْذِبُ، إِنَّمَا طَلَبَهُ لِلدُّنْيَا،
وَيَا قِلَّةَ مَا عَرَفَ مِنْهُ ⁽²⁾.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ⁽³⁾:

أَشَدُّ النَّاسِ لِلْعِلْمِ ادِّعَاءَ	أَقَلُّهُمْ لِمَا هُوَ فِيهِ عِلْمًا
أَرَى الْإِنْسَانَ مَنقُوصًا ضَعِيفًا	وَمَا يَأْلُو لِعِلْمِ الْغَيْبِ رَجْمًا
وَفِي الصَّمْتِ الْمُبْلَغِ عَنْكَ حُكْمٌ	كَمَا أَنَّ الْكَلَامَ يَكُونُ حُكْمًا
إِذَا لَمْ تَحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ طَيْشٍ	أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(1) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص: 18).

(2) «سير أعلام النبلاء» (6 / 328).

(3) «ديوان أبي العتاهية» (ص: 402).

**تَنْبِيهُ مُهِمٌّ: لَيْسَ مِنَ الْإِخْلَاصِ تَرْكُ طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ لِعَدَمِ
خُلُوصِ النِّيَّةِ فِيهِ.**

وَأَنْتَبِهْ أَخِي طَالِبَ الْعِلْمِ فَإِنَّ تَرْكَ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ، وَتَرْكَ طَلَبِهِ لِعَدَمِ
خُلُوصِ النِّيَّةِ فِيهِ لَيْسَ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ مِنْ مَدَاخِلِ
وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ؛ لِيَمْنَعَكَ مِنْ فَضْلِ التَّعْلَمِ وَالتَّعْلِيمِ الْمُوَصَّلِ إِلَى
الْإِخْلَاصِ.

وَقَدْ عَلِقَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِ مَعْمَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ يُقَالُ: «إِنَّ
الرَّجُلَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَيَأْبَى عَلَيْهِ الْعِلْمُ حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ» قَائِلًا:
نَعَمْ، يَطْلُبُهُ أَوْلًا وَالْحَامِلُ لَهُ حُبُّ الْعِلْمِ، وَحُبُّ إِزَالَةِ الْجَهْلِ عَنْهُ،
وَحُبُّ الْوِظَائِفِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمٌ وَجُوبَ الْإِخْلَاصِ فِيهِ،
وَلَا صِدْقَ النِّيَّةِ، فَإِذَا عَلِمَ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَخَافَ مِنْ وَبَالِ قَصْدِهِ،
فَتَحِيَّتُهُ النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا، أَوْ بَعْضُهَا، وَقَدْ يُتُوبُ مِنْ نِيَّتِهِ
الْفَاسِدَةِ وَيَنْدَمُ.

وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ: أَنَّهُ يُقْصِرُ مِنَ الدَّعَاوَى وَحُبِّ الْمُنَظَرَةِ، وَمِنْ قَصْدِ
التَّكْثُرِ بِعِلْمِهِ، وَيُزِرِّي عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ تَكَثُرَ بَعْلِمِهِ، أَوْ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْ

فُلَانٍ، فَبَعْدًا لَهُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنْ لَا يَمْتَنَعَ (يَعْنِي: الشَّيْخَ) مِنْ تَعْلِيمِ الطَّالِبِ لِعَدَمِ خُلُوصِ نِيَّتِهِ، فَإِنَّ حُسْنَ النِّيَّةِ مَرْجُوٌّ لَهُ بِبِرَّةِ الْعِلْمِ ... وَلِأَنَّ إِخْلَاصَ النِّيَّةِ لَوْ شُرْطًا فِي تَعْلِيمِ الْمُبْتَدِئِينَ فِيهِ مَعَ عُسْرِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ؛ لِأَدَى ذَلِكَ إِلَى تَفْوِيتِ الْعِلْمِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ⁽²⁾.

فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَحَقُّقِ الْإِخْلَاصِ الْمُوَاطَبَةُ عَلَى الْعِلْمِ، وَالْجِدُّ فِي تَحْصِيلِهِ.

وَيُحْصَلُ الْإِخْلَاصُ بِالتَّعَلُّمِ عَلَى يَدِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ مِمَّنْ عُرِفُوا بِالْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ، وَالْقَبُولِ وَالضَّبْطِ، وَالِدِرَايَةِ وَالْحِفْظِ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ، مِمَّنْ تَرَبَّوْا فِي الْعِلْمِ وَشَابَتْ لِحَاهِمُ فِيهِ، وَعُرِفُوا بِالدَّرْبَةِ وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَالْخِبْرَةِ.

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ النِّيَّةِ فِي الْعَمَلِ، قُلْتُ كَيْفَ النِّيَّةُ؟ قَالَ: يُعَالِجُ نَفْسَهُ، إِذَا أَرَادَ عَمَلًا لَا يُرِيدُ بِهِ النَّاسَ⁽³⁾.

(1) «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (7/17).

(2) «تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ» (ص: 138).

(3) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (ص: 14).

وَقَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ النِّيَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِأَنْ يَقْصِدَ بِهِ وَجَهَ اللهُ تَعَالَى، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَإِحْيَاءُ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْوِيرَ قَلْبِهِ، وَتَحْلِيَةَ بَاطِنِهِ، وَالْقُرْبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّعَرُّضَ لِمَا أَعَدَّ لِأَهْلِهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ...

ثُمَّ قَالَ: وَلَا يَقْصِدُ بِهِ الْأَغْرَاضَ الدُّنْيَوِيَّةَ، مِنْ تَحْصِيلِ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ، وَمُبَاهَاةِ الْأَقْرَانِ، وَتَعْظِيمِ النَّاسِ لَهُ، وَتَصْدِيرِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَيَسْتَبْدِلُ الْأَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ⁽¹⁾.

العالم الرباني الماهر، يُرَبِّيكَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَيُحَرِّضُكَ عَلَيْهِ قَوْلًا

وَفِعْلًا:

قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللهُ: لَكِنَّ الشَّيْخَ يُحَرِّضُ الْمُبْتَدِيَّ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ بِتَدْرِيجِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَيُعَلِّمُهُ بَعْدَ أَنْسِهِ بِهِ: أَنَّهُ بِبَرَكَاتِهِ حُسْنُ النِّيَّةِ يَنَالُ الرُّتْبَةَ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَفِيضَ اللَّطَائِفِ، وَأَنْوَاعِ الْحِكْمِ، وَتَنْوِيرِ الْقَلْبِ، وَانْشِرَاحِ الصِّدْرِ، وَتَوْفِيقِ الْعِزْمِ، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَحُسْنِ الْحَالِ، وَالتَّسْهِيدِ فِي الْمَقَالِ، وَعُلُوِّ الدَّرَجَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽²⁾.

(1) «تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ» (ص: 168، 169).

(2) «تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ» (ص: 138).

وَفِي الْحَقِيقَةِ هَذَا أَمْرٌ نَدْرُ وَجُودَهُ، وَقَلَّ أَهْلُهُ، وَعَزَّ طَلَابُهُ، خَاصَّةً فِي
 أَرْمَنَةِ الْغُرْبَةِ، الَّتِي غَلَبَ فِيهَا الْإِسْتِعْجَالُ وَالسَّرْعَةُ، وَالتَّصَدُّرُ قَبْلَ التَّأْهِلِ
 وَالتَّحْصِيلِ وَالتَّحْقِيقِ، فَفَلَانُ الْمُحَدِّثُ، وَآخَرُ عِلْمُهُ عَصْرِهِ، وَأَوْحَدُ
 زَمَانِهِ، وَقِبْلَةُ الْعُلَمَاءِ وَالطُّلَّابِ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ بَصِيرًا بِالْأُمُورِ خَبِيرًا
 بِهَا، مِنْ أَهْلِ الْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ، وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيَبِينُ لَكَ ذَلِكَ تَتِمَّةُ
 مَا أَخْرَجَ ابْنُ بَطَّةَ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَنْبَغِي
 لِلرَّجُلِ أَنْ يُنْصَبَ نَفْسَهُ - يَعْنِي لِلْفَتَوَى - حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ:
 أَمَّا أَوْلَاهَا: فَأَنْ يَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ نِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نُورٌ وَلَا
 عَلَى كَلَامِهِ نُورٌ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَيَكُونُ لَهُ خُلُقٌ وَوَقَارٌ وَسَكِينَةٌ.

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ: فَيَكُونُ قَوِيًّا عَلَى مَا هُوَ فِيهِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ.

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَالْكَفَايَةُ، وَإِلَّا مَضَعَهُ النَّاسُ.

وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَمَعْرِفَةُ النَّاسِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ بَطَّةَ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقًا: فَأَقُولُ - وَاللَّهُ الْعَالِمُ - : لَوْ أَنَّ

رَجُلًا أَنْعَمَ نَظْرُهُ، وَمَيَّزَ فِكْرُهُ، وَسَمَّا بِطَرْفِهِ، وَاسْتَقْصَى بِجَهْدِهِ، طَالِبًا

خَصْلَةً وَاحِدَةً فِي أَحَدٍ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْمُتَصَدِّرِينَ لِلْفَتَوَى فِيهَا لَمَا

وَجَدَهَا، بَلْ لَوْ أَرَادَ أَضْدَادَهَا وَالْمَكْرُوهَ وَالْمَرْذُولَ مِنْ سَجَايَا دَنَاءَةِ النَّاسِ

